

خطورة الكلمة

عناصر الموضوع

نعمة الكلام وكيفية شكرها

ذكر شيء مما يعين على حفظ اللسان

فإن مما لا شك فيه الله تعالى منح الإنسان نعماً عظيمة، ومن أعظمها بعد الإسلام: نعمة الكلام والبيان عما بداخل الإنسان حتى قال الله تعالى في سياق نعمه على العباد: [عَلَّمَهُ الْبَيَانَ] [الرحمن: ٤] [١] والقدرة على الكلام سلاح ذو حدين: فإن استخدم في طاعة الله: كقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصر المظلوم كان هذا هو المطلوب من كل مسلم، وكان هذا شكراً لله على هذه النعمة.

وإن استخدم في طاعة الشيطان، وتفريق جماعة المسلمين، والكذب وقول الزور، والغيبة والنميمة، وانتهاك أعراض المسلمين، وغير ذلك مما حرمه الله ورسوله. كان هذا هو المُحَرَّم على كل مسلم فعله، وكان كفراناً لهذه النعمة العظيمة.

وفي اللسان آفتان عظيمتان: ١ - آفة الكلام بالباطل. ٢ - آفة السكوت عن الحق.

وَلِخَطَرِ الْكَلِمَةِ عَلَى الْفَرْدِ، وَالْمَجْتَمَعِ، وَالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانَ هَذَا هُوَ مَوْضُوعُنَا

نعمة الكلام وكيفية شكرها

أولاً- وجوب شكر نعمة الكلام:

قال الله تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ] [الروم: ٢٢].

ثانياً- من شكر هذه النعمة أن يستخدمها في الخير، ومن ذلك:

١- تلاوة القرآن: قال الله تعالى: [اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)] [الزمر: ٢٣].

وقال الله تعالى: [فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)] [الزمر: ١٧ - ١٨].

٢- الإكثار من ذكر الله والصلاة على نبيه -صلى الله عليه وسلم-: قال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا

اللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا] [الأحزاب: ٤١ - ٤٢]. وقال الله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)] [الأحزاب: ٥٦].

٣- الدعوة إلى الله قال الله تعالى: [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)] [فصلت: ٣٣].

٤- فإن لم يجد ما يتكلم به من الخير فليسكت كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" [٢١].

- قال رجل لسلمان -رضي الله عنه-: أوصني؟ قال: لا تتكلم. قال: وكيف يصبر رجل على أن لا يتكلم؟ قال: فإن كنت لا تصبر عن الكلام فلا تتكلم إلا بخير أو اصمت [٢٢].

- وعن (عقيل بن مدرِك، يرفعه إلى أبي سعيد أن رجلاً أتاه، فقال: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله، وعليك بالصمت، فإنك به تغلب الشيطان) [٢٣].

ثالثاً - من شكر نعمة الكلام حبس اللسان عن الآفات، ومن ذلك ما يلي:

١- قال الله تعالى: [وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا] [الإسراء: ٣٦].

٢- وقال الله تعالى: [وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ] (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] [النحل: ١١٦ - ١١٧]. وقال - عز وجل - : [مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]

٣- قال الله تعالى: [لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا].

٤- الكلمة الخبيثة سبب لدخول النار فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَّبِعُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ" [٢٥]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" [٢٦]

٥ - الكلمة الخبيثة سبب لسخط الله كما في حديث مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ عُلَقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، قَالَ: مَرَّ بِهِ رَجُلٌ لَهُ شَرَفٌ، فَقَالَ لَهُ عُلَقَمَةُ: إِنَّ لَكَ رَحِمًا، وَإِنَّ لَكَ حَقًّا، وَإِنِّي رَأَيْتُكَ تَدْخُلُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَمْرَاءِ، وَتَتَكَلَّمُ عِنْدَهُمْ بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغْتَ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغْتَ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ. قَالَ عُلَقَمَةُ: فَانْظُرْ وَيْحَكَ مَاذَا تَقُولُ؟ وَمَاذَا تَكَلَّمُ بِهِ، فَرُبَّ كَلَامٍ قَدْ مَنَعَنِي أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، مَا سَمِعْتُ مِنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ" [٢٧].

٦- الكلمة الخبيثة قد تحبط العمل الصالح فعن جُنْدَب، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، حَدَّثَ " أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ " أَوْ كَمَا قَالَ (٢٨)

٧- الكلمة الخبيثة هلاك في الدنيا والآخرة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلُكُهُمْ" (٢٩)

قال ابن مفلح: بَرَفَعَ الْكَافِ قَالَ الْحَمِيدِيُّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ وَهُوَ أَشْهَرُ أَيٍّ: أَشَدُّهُمْ هَلَاكًا.

وَرَوَى أَهْلُكَهُمْ بَفَتْحِ الْكَافِ أَيَّ جَعَلَهُمْ هَالِكِينَ؛ لِأَنَّهُمْ هَلَكُوا فِي الْحَقِيقَةِ وَهَذَا النَّهْيُ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِحْتِقَارِ وَالْإِزْرَاءِ عَلَى النَّاسِ وَتَفْضِيلِ نَفْسِهِ عَلَيْهِمْ فَإِنْ قَالَ ذَلِكَ تَحْزُنًا لِمَا يَرَى مِنَ النِّقْصِ فِي أَمْرِ الدِّينِ

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَعِيبُ النَّاسَ وَيَذْكُرُ مَسَاوِيَهُمْ وَيَقُولُ: فَسَدَ النَّاسُ وَهَلَكُوا

وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَهْلُكُهُمْ أَيٍّ: أَسْوَأُ حَالًا مِنْهُمْ بِمَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْإِثْمِ فِي عَيْبِهِمُ وَالْوَقِيعَةِ فِيهِمْ وَرَبَّمَا أَذَاهُ ذَلِكَ إِلَى الْعَجَبِ بِنَفْسِهِ وَرُؤْيِيهِ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ.

ثم تأمل حال هذا الذي أفتى بغير علم فقتله السائل ولو سكت لسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: ((كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ فَاتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَنْتَ قَرِيءٌ كَذَا وَكَذَا فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْ هَذِهِ أَنْ نَقْرَبِي وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْ هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قَيْسُوا. مَا بَيْنَهُمَا فَوُجِدَ إِلَيْ هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِيرٍ فَغُفِرَ لَهُ".

فأين هذا الجاهل في كلمته تلك من قول هذا الفقيه أبي الدرداء حيث مر على رجل قد أصاب ذنبا وكانوا يسبونهم فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه قالوا بلى قال فلا تسبوا أحاكم واحمدوا الله الذي عافاكم قالوا أفلا تبغضه قال إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي. (١٠١)

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم، فما أكثر من ندم إذا نطق، وأقل من يندم إذا سكت، وأطول الناس شقاءً وأعظمهم بلاءً من ابتلي بلسانٍ مطلق، وفؤادٍ مطبق.

٨- وقد تكون الكلمة في ظاهرها خير ولكنها عند الله عظيمة كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: افْتَتَحْنَا خَيْرَ، وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً، إِنَّمَا غَنِمْنَا الْبَقَرَ وَالْإِبِلَ وَالْمَتَاعَ وَالْحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى وَادِي الْقُرَى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِذْعَمٌ، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضَّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحْطُ رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ، حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ الْعَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا" فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- بِشِرَاكِ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "شِرَاكِ - أَوْ شِرَاكَيْنِ - مِنْ نَارٍ" (١١١)

وقد أنكر الله تعالى هذه الدعاوى الكلامية في كتابه على من ادعاها - حاكما على ما عند الله بغير علم - فقال: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا. . . (١٧) أي: ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته فقد أكرمته، وما ذاك لكرامته عليّ، ولكنه ابتلاء مني وامتحان له، أيشكرني فأعطيته فوق ذلك، أم يكفرني فأسلبه إياه وأحوّله عنه لغيره؟ ، وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه، وجعلته بقدر لا يفضل عنه، فذاك من هوانه عليّ، ولكنه ابتلاء وامتحان مني له، أيسبر فأعطيته أضعاف ما فاته، أم يسخط فيكون حظّه السخط؟.

وبالجملة: فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره، فإنه سبحانه وتعالى يوسع على الكافر لا لكرامته، ويقتّر على المؤمن لا لهوانه عليه. (١١٢)

٩- والكلام عمل اللسان وقد هون الناس اليوم من أعمال كانت عند السلف عظيمة؛ فعن أنسٍ أنه قال: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الْمُؤَبَّاتِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْ ذَلِكَ مَا نَسْمَعُهُ مِنْ كَلَامٍ فِي أُمُورٍ عَظَامٍ فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْدُهَا بِجَهْلِهِ مِنَ الْقُرْبِ الْعَظَامِ وَهِيَ مِنَ الْبَلَايَا وَالطَّوَامِ كَهَوْلَاءِ الَّذِينَ نَسْمَعُ مِنْهُمْ: فَلَا شَهِيدَ وَفَلَانٍ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى قَالُوا فِي النِّصْرَانِيِّ شَهِيدٌ وَفِي الْجَنَّةِ. . .

أو فلان ليس من الإسلام في شيء وليس له في الجنة نصيب وربما قيلت فيمن هو من أفضل أهل زمانه وأهل هذه المقالات يدعونها قرينة ويكفي في الرد على هؤلاء ما سبق سياقه من أحاديث فيمن قنط الناس من رحمه الله وفيمن تألى على الله. وتزداد خطورة الإثم، ويعظم الذنب، وتكبر المعصية إذا كان الجرح والكلام في علماء الأمة، فهم سادة الأمة، وحراس الشريعة، وسياجها، ونجوم الأرض، فإذا انطفأت أتي الأرض ما توعد، ولا خير في قوم لا يعرفون للعلماء قدرهم ومكانتهم، ولا يعطونهم حقهم من الاحترام والتوقير، وقد قيل: لحوم العلماء مسمومة، وقال ابن عساكر: ((لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصيهم معلومة، ومن وقع فيهم بالقلب، ابتلاه الله قبل موته بموت قلبه)). فعلي الإنسان المسلم أن يتق الله، ويخشاه، ويراقبه، ويشعر أن الله معه ويتيقن أن الله يسجل حركاته وسكناته وألفاظه، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويجب عليه أن يترث قبل أن يبدأ بجرح أحد من الناس؛ لكي يكون متزن في حكمه بعيدا عن الظلم.

١٠- وثم فريق آخر يتكلم وهو لا يبالي ثم يقول هذا كلام وهل على الكلام حساب أو مؤاخذه!

وهؤلاء لا يفقهون، فدخل العبد في الإسلام بكلمة ويخرج منه أيضًا بكلمة.

فتكلم أناس في دين الله وفي حدوده وفي شرعه وفي أعراض عباده بما ليس لهم به علم يحسبونه هينا وهو عند الله عظيم

* وفي أشباههم قال الله تعالى: [يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ]

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ.

ذكر شيء مما يعين على حفظ اللسان:

أ- مما يعين على ذلك أن يتدبر في الرقابة المتنوعة على اللسان في نصوص القرآن الكريم: قال الله تعالى: [إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ] [ق: ١٧ - ١٨]. بل الله سبحانه وتعالى مع كل نجوى بعلمه، قال تعالى: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] [المجادلة: ٧] فسبحان من أحاط بكل شيء علماً. وانظر إلى كشف المخافتة في القول: [فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ] [القلم: ٢٣ - ٢٤]. واللفظ لأهميته دليل مادي قائم على حقيقة اللفظ، قال الله تعالى: [وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ] [محمد: من الآية ٣٠] وقال تعالى: [فَذَ بَدَتِ الْبَعْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ] [آل عمران: من الآية ١١٨].

ب- معرفة الجزاء على حفظ المنطق

ومنه حديث سهل بن سعد، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْنِيهِ - يريد لسانه - وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ - يريد فرجه - أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ" ([١٣])

قال ابن عبد البر: في هذا الحديث دليل على أن أكبر الكبائر وإنما هي من الفم والفرج وما بين اللحيين الفم وما بين الرجلين الفرج ومن الفم ما يتولد من اللسان وهو كلمة الكفر وقذف المحصنات وأخذ أعراض المسلمين ومن الفم أيضا شرب الخمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم ظلما ومن الفرج الزنى واللواط. ([١٤])

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: (فالمعنى من أدّى الحقّ الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه - ضمن له الرسول -صلى الله عليه وسلم- الجنة - . . . فإن النطق باللسان أصل في حصول كل مطلوب فإذا لم ينطق به إلا في خير سلم وقال بن بطل دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه فمن وقى شرهما وقى أعظم الشر) ([١٥])

ج- سلامة الناس من لسان العبد من كمال إسلامه

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **رضي الله عنهما**، عَنِ النَّبِيِّ **صلى الله عليه وسلم** - قَالَ: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ" (٢١٦)

د- وهي من أفضل خصال الإسلام كما في حديث أَبِي مُوسَى **رضي الله عنه** - قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ" (٢١٧)

د- وقد يشغل المرء نفسه بالكلام فيما لا يعنيه وهو يرى أن ذلك من المباح وقد جعل النبي **صلى الله عليه وسلم** من حسن الإسلام أن يسكت عما لا يعنيه.

قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** -: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" (٢١٨)

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: كَتَبْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ **صلى الله عليه وسلم** - خَمْسِمِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ، انْتَخَبْتُ مِنْهَا مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ - يَعْنِي كِتَابَ " السُّنَنِ " - جَمَعْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ وَثَمَانِمِائَةَ حَدِيثٍ، وَيَكْفِي الْإِنْسَانَ لِدِينِهِ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةُ أَحَادِيثَ: أَحَدُهَا: قَوْلُهُ **صلى الله عليه وسلم** - "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"، وَالثَّانِي: قَوْلُهُ **صلى الله عليه وسلم** - "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ، " وَالثَّلَاثُ: قَوْلُهُ **صلى الله عليه وسلم** - "لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى لَا يَرْضَى لِأَخِيهِ إِلَّا مَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ"، وَالرَّابِعُ: قَوْلُهُ **صلى الله عليه وسلم** -: "الْحَلَالُ بَيْنٌ وَالْحَرَامُ بَيْنٌ".

وَلِلْحَافِظِ أَبِي الْحَسَنِ طَاهِرِ بْنِ مُفَوِّزٍ الْمُعَاوِرِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ. . . أَرْبَعٌ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ النَّبِيِّ

اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا. . . لَيْسَ يَعْنِيكَ وَاعْمَلَنَّ بِنِيَّةٍ (٢١٩)

قال ابن رجب: وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ وَمَعْنَى يَعْنِيهِ: أَنَّهُ تَتَعَلَّقُ عِنَايَتُهُ بِهِ، وَيَكُونُ مِنْ مَقْصِدِهِ وَمَطْلُوبِهِ، وَالْعِنَايَةُ: شِدَّةُ الْإِهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ، يُقَالُ عَنَاهُ يَعْنِيهِ: إِذَا اهْتَمَّ بِهِ وَطَلَبَهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ

يَتْرُكُ مَا لَا عِنَايَةَ لَهُ بِهِ وَلَا إِرَادَةَ بِحُكْمِ الْهَوَى وَطَلَبِ النَّفْسِ، بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ وَلِهَذَا جَعَلَهُ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا حَسُنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ، تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي فِعْلَ الْوَاجِبَاتِ. . . وَأَكْثَرُ مَا يُرَادُ بِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِي حِفْظُ اللِّسَانِ مِنْ لُغْوِ الْكَلَامِ [٢٠].

فيا أخي الحبيب قل خيرًا تغنم واسكت عن شرٍّ تسلم، والحمد لله رب العالمين

[١] قَالَ الْحَسَنُ: يَعْنِي: النُّطْقَ، وَقَالَ السَّعْدِيُّ: أَي: التَّبَيُّنَ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، وَهَذَا شَامِلٌ لِلتَّعْلِيمِ النَّطْقِيِّ وَالتَّعْلِيمِ الْخَطِيِّ، فَالْبَيَانُ الَّذِي مِيزَ اللَّهُ بِهِ الْآدَمِيَّ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَجْلِ نَعْمِهِ، وَأَكْبَرُهَا عَلَيْهِ. . تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ تِ سَلَامَةُ (٧ / ٤٨٩)، وَتَفْسِيرُ الْقَاسِمِيِّ (٣ / ٤٧١)، وَالسَّعْدِيُّ (١ / ٨٢٨).

[٢] (البخاري (٦٠١٨)).

[٣] (رواه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص ٦٥)).

[٤] ((الزهد)) لابن أبي عاصم (ص: ٣٣).

[٥] (البخاري (٦٤٧٧)).

[٦] (البخاري (٦٤٧٨)).

[٧] (سنن ابن ماجه (٣٩٦٩)، وأخرجه الترمذي (٢٣١٩)، وقال: حديث حسن صحيح).

[٨] (صحيح مسلم (٢٦٢١)).

[٩] (مسلم (٢٦٢٣)).

[١٠] (جامع معمر بن راشد (١١ / ١٨٠ / ٢٠٢٦٧)، والزهد لأبي داود (ص: ٢٣٢ / ٢١١)).

[١١] البخاري (٤٢٣٤).

[١٢] تجريد التوحيد المفيد (ص: ٣٩)

[١٣] البخاري (٦٤٧٤).

[١٤] الاستذكار (٨/ ٥٦٥)

[١٥] ((فتح الباري)) لابن حجر (١١/ ٣٠٩ - ٣١٠).

[١٦] البخاري (١٠).

[١٧] البخاري (١١).

[١٨] قال الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٥٩١١).

(صحيح) [ت هـ] عن أبي هريرة [حم طب] عن الحسين بن علي [الحاكم في الكنى] عن أبي بكر الشيرازي وعن أبي ذر [الحاكم في تاريخه] عن علي بن أبي طالب عن زيد ابن ثابت [ابن عساكر] عن الحارث بن هشام. الروض النضير ٢٩٣، ٣٢١، شرح العقيدة الطحاوية ٢٦٨، ٣٤٥. وانظر: صحيح المشكاة (٤٨٣٩)، وتحقيق كتاب الإيمان لابن تيمية (٤٩).

[١٩] جامع العلوم والحكم (١/ ٦٢ و ٦٣).

[٢٠] جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٧ و ٢٨٨).